

## سفينة نوح.. طوق نجاة، لا معراج خلاص حفظ النوع كفل إلهي.. خلاص النوع هم إنساني

سكت الكلام. رفعت الرايات البيض، أسقط في يد الإنسان. القول الفصل قد بُت في غير مكان. والخطب الجلل غدا قريب الأوان. لا مردّ لغضب السماء. هو واقع، شامل، لا رحمة فيه ولا استثناء. فالأرض عجت فجوراً وبطلاً، وضجت ضللاً ونكراناً. الملائكة غادرت أديم الأرض، والتجأت إلى رب السماء. ليس في الأرض الآن إلا شياطين الجن والإنس.

أذنت السماء لباريها، فأبرقت. وقصفت الأرض بوابل مدرار. ألبستها جبلاً من ماء ونار. سلبتها حياة، وغسلت ما عليها من دنس وعار. لم تخل عليها دابةً أو ديبياً إلا من أذن له ربه وأجار. وعلى خشبة فوق صفيح ماء، أحكمت جمعهم قليل الأختيار. أزواجاً بشراً، طيراً، نباتاً، ممّا اصطفى خالقها واختار.

### وينجو الإنسان

فعلها الإنسان ثانية، ونجا. استطاع هذا المخلوق الضعيف أن يقهر الموت. استطاع هذا الدخيل أن ينشبت في الأرض، وهو لا جذور له. مخلوقات كثيرة نفقت واندثرت، وهو استمر. كانت أكثر قوة منه، مع ذلك ألفت الرايات واندثرت. لم تحتلم مزاج الطبيعة القلاب، فرحلت واندثرت. لم تحتلم الموت الجاثم أبداً، فأثرت الراحة واندثرت. لم تحتلم طغيان الوجود، فاخترت الوجود واندثرت.

مذ فجر التاريخ، والإنسان يسطرها مرّة تلو الأخرى. هو يعيش دائماً حتمية فناء، وينجو. موجبات الفناء وشيكة تلف المكان، وينجو. ومقدمات الموت أكثر من أن تُحصى، وينجو. الفناء وحش ينشب أنياباً ويكتم أنفاساً، وينجو. الفناء زلزال يدك الجبال ويفلق أديم الأرض، وينجو. الفناء بركان بقيء اللهب ويكوي البطاح، وينجو. الفناء حريق لهيب يفتح الصخر ويفجر الزرع، وينجو. الفناء وباء يفتك وجوع يعصر، وينجو.

### وعد الله

هي كلمة قالها جلّ و علا فأصبحت قانوناً وشرعاً. فقد أرادها للإنسان موطناً إلى حين. وأراده ملكاً مستخلفاً إلى حين. وحتى يشاء الله، يبقى الإنسان سيّداً على هذه الأرض. والأرض وإن اشتد غضبها وضاقت بنزيلها لا تحيد أبداً عن شريعة مولاها وباريها. كذا الخطوب وإن تعالي صريخها، وامتقت وجهها غضباً، هي دون المعصية والعصيان.

الله جلّ و علا وحده الحامي، الضامن لوجود الإنسان. منحه الوسيلة لتدبير شؤونه، ما تيسر له منها. فإذا ما اختل الميزان وجنت كفة الفناء، تذكّرت هذه الأخيرة وعد الله فعدلت وانكفت. لا تبديل لمشية الله وحكمه.

### ثنائيات القلق والتضعيف

جمع المتناقضات الوجودية في وحدات تشرحية يُعطي لغة الثنائيات. وهي أكثر من أن تُحصى؛ كثنائيات الحياة والموت، الخير والشر، الصحة والمرض، الأبيض والأسود، الأمن والخطر، إلى آخر تلك المصطقات. وجمعها بعقد المعنى، يُظهر مفهوم القلق والتضعيف؛ فالحياة يُطفئ جذوتها الموت، والخير ينكره الشر، والصحة ينكوها المرض، والأمن يزلزله الخطر، والأبيض يعكر صفوه الأسود. إضافة المعنى اللغوي إلى البعد الوظيفي، يُعطي ثنائيات القلق والتضعيف معناها.

ثنائيات القلق والتضعيف، ثنائيات وجودية تصوغ تاريخ الإنسان. بل هي الإنسان ذاته. خلقت حين خلق، وأقامت حيث أقام، وأقسم أنها باقية ما بقي الإنسان ثنائية جسد وروح. هي المحرك لتطور الإنسان، الضابطة لإيقاع حياته. تتلقفه بين دفتي مرجوحته مذ ولادته. ولا تخله إلا وهو خارج هذا الوجود.

## خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً

خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً، وكذا يبقى على الدوام مثقلاً بثنائيات ضعفه وقلقه. وعدَّ اللهُ كَفَلَ الْإِنْسَانَ وَحَجَبَ عَنْهُ حَتْمِيَّةَ فَنَاءِ. أَمَّا خَلَاصُهُ فَأَنَاطُهُ اللهُ بِالْإِنْسَانِ نَفْسِهِ. لَمْ يَتْرِكْهُ أَعْرَلاً. أَمَدَّهُ الْوَسِيلَةَ، وَأَنْعَمَهُ الْعَقْلَ، وَلَمَّا بِيخَلُهُ الرُّسُلَ هُدَىٰ وَرُشْدًا. وَتَرْكُهُ بَعْدَ يَتَبَيَّنُ بِنَفْسِهِ مَعَارِجَ خَلَاصِهِ وَرَوَافِعَ رُوحِهِ.

لَطَالَمَا أَنْجَاهُ مِنْ مُهْلَكَاتِ الزَّمَانِ، وَسِيْظَلُّ يُنْجِيهِ إِلَى مَا شَاءَ. بِيَدِ أَنَّهُ، بَعْدَ كُلِّ حَائِنَةٍ، كَانَ يَعُودُ بِهِ إِلَى حَالَتِهِ الْغَرِيزِيَّةِ الْأُولَى حَيْثُ الضَّعْفُ وَالْقَلْبُ قَائِمَانِ أَوَّلاً فِي لِبُوسِ ثَنَائِيَّاتٍ نَهْمَةً تَتَاكَلُهُ عَلَى مَرِّ الْأَحْقَابِ وَالذُّهُورِ.

### قال الله تعالى

"حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا **إِحْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ** وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ **آمَنَ** وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ" صدقَ اللهُ العظيم

سَطَرَ الْبَيَانَ الَّذِي لَا لِبَسَ فِيهِ. كُتِبَ بِأَحْرَفٍ مِنْ نُورٍ لَا حَبْوَ فِيهِ. أَنْ اعْتَلَّ أَثْمًا الْإِنْسَانُ سَطَحَ هَذِهِ الْبَطْحَاءِ، فَانْتِ نَاجَ مَنجِيًّا. وَتَأَبَّطَ مَعَكَ زَادًا ثَنَائِيَّاتٍ وَجُودِكَ، وَلَا تَخَلْفُ مِنْهَا زَوْجًا. فَإِنَّكَ بَاقٍ وَهُنَّ كَذَلِكَ، رَفَقَةً مَكَانٍ وَصُحْبَةً زَمَانٍ. أَنْتَ بَاقٍ مَا بَقِيَ الْوُجُودُ، وَهُنَّ كَذَلِكَ. بَاقٍ، لَكِنْ مُجَلَّلاً بِثَنَائِيَّاتٍ ضَعْفِكَ وَقَلْفِكَ عَلَى الدَّوَامِ. تَتَقَادُفُكَ بَيْنَ دَقَّتَيْهَا بِلَا رَحْمَةٍ. مَا إِنَّ تَغْفُوَ عَلَى كَفِّهَا الْحَانِي حَتَّى تَلْكَزَكَ الْجَافِيَةُ فَتَصْحُو. تَصْحُو مِنْ حِلْمٍ وَرَدِيٍّ لَمْ يَدْمُ إِلَّا هُنِيهَةً.

لَنْ تَهْزَمَكَ عَوَاتِي الطَّبِيعَةِ أَمْ كَوَاسِرُ الْوَحْشِ، وَلَنْ تَنَالَ مِنْكَ مَوْهِنَاتُ النَّفْسِ أَمْ مُثْقَلَاتُ الرُّوحِ. لَكِنَّهَا سَتَبْقَى مَعَكَ ذَلِكَ، تَذُكُّ عَرُوشًا أَنْتَ سَيِّدُهَا، وَتَقْوُضُ صَرُوحًا أَنْتَ بَانِيهَا. لَا مَحِيدَ عَنْهَا، وَلَا مَنَاصَ.. هِيَ لَزُومٌ مَحْنَتِكَ وَامْتِحَانِكَ. هِيَ شَوَاعِلُكَ، مَحْرَكَاتُ فِكْرٍ وَمُلْهَمَاتُ نَفْسٍ. إِنَّ تَصَهْرَكَ نَارُ مَحْمَمَهَا، تَنْزَعُ عَنْكَ الْخَبِيثَ. أَوْ تَطْوِكَ مَطْرَقَةً سَدَانِهَا، تَصَقُّلُ فَيْكَ الْعَزِيمَةَ. أَمْ حَسِبْتَ أَنَّكَ تَنَالَ الْبِرَّ وَتَسْتَهْدِي الْخَلَاصَ وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ هَذَا مُثْقَلَاتٍ وَمِنْ تَلَكُّمٍ مَحْنٍ.

(\* في السياق ذاته، أنصح بقراءة المقالات التالية:

- خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ ضَلْعِ الرَّجُلِ، رَانِعَةُ الْإِيْحَاءِ الْفَلْسَفَى وَالْمَجَازِ الْعِلْمِيَّ
- نَعَمْ، خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ ضَلْعِ الرَّجُلِ، وَالشَّاهِدُ جَسِيمُ بَار (PowerPoint)
- الْمَرْأَةُ تَقَرَّرُ جِنْسَ وَوَلِيدِهَا، وَالرَّجُلُ يَدْعِي!
- كَمَا النَّطَافِ، هُنَاكَ بُوَيْضَةٌ مُؤَنَّثَةٌ وَأُخْرَى ذَكَر (PowerPoint)
- الرُّوحُ وَالنَّفْسُ.. عَطِيَّةٌ خَالِقٍ وَصَنِيْعَةٌ مَخْلُوقٍ
- خُلِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خُلِقَ النَّاسِ.. فِي الْمَرَامِي وَالذَّلَالَاتِ
- مُكَاشَفَاتُ قِرْآنِيَّةٍ، تَفَاحَةُ أَدَمَ، خُلِقَ حَوَاءٌ مِنْ ضَلْعِ أَدَمَ، حَوَاءٌ.. دَلَالَاتٌ وَمَعْنَى
- حَوَاءٌ.. هَذِهِ
- سَفِينَةُ نُوحٍ، طُوقَ نَجَاةٍ لَا مَعَارِجَ خَلَاصٍ
- الْمَصْبَاحُ الْكَهْرِبَائِيَّ، بَيْنَ التَّجْرِيدِ وَالتَّنْفِيذِ رِحْلَةُ أَلْفِ عَامٍ
- هَكَذَا تَكَلَّمَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلِ
- فَقَهُ الْحَضَارَاتِ، بَيْنَ قُوَّةِ الْفِكْرِ وَفِكْرِ الْقُوَّةِ
- الْعِدَّةُ وَعِلَّةُ الْإِخْتِلَافِ بَيْنَ مُطْلَقَةٍ وَأَرْمَلَةٍ ذَاتِ عَفَافٍ
- تَعَدُّدُ الزَّوْجَاتِ وَمَلِكُ الْيَمِينِ.. الْمَنْسُوخُ الْأَجَلُ